

## العلاقات بين نجد والكويت

١٣١٩ - ١٣٤١

مراجعة: د. أحمد عبد الرحمن عطفي

شكل موضوع هذه الدراسة رسالة لنيل درجة الماجستير من جامعة أم القرى بالملكة العربية السعودية . ومع ترحيبنا بالانتاج العلمي لهذه الجامعة العربية فأننا نلفت النظر الى ضرورة التنسيق بين مختلف الجامعات العربية في مجال الدراسات العلمية ، وحذا لو قام اتحاد الجامعات العربية باعداد قائمة بالرسائل التاريخية العلمية التي تمت اجازتها في مختلف الجامعات العربية حتى لا يوجه جهد الدارسين الى تغطية موضوعات سبقت دراستها - فقد اجيزت دراسة حول نفس الموضوع للحصول على درجة الماجستير من جامعة الكويت (١) . وليس معنى هذا أن جهد المؤلف قد ذهب هباء ، اذ لكل مؤلف منهجه وطريقة معالجته للمادة المتاحة ، ولكن ملحوظتنا السابقة تستهدف توفير جهد الباحثين وتوجهه الى موضوعات لم يسبق لها أن حظيت بالاهتمام الكافي .

وينقسم موضوع الدراسة التي نعرض لها الى الفصول التالية :

### الفصل الأول : مدخل الى الوضع عام ١٣١٩ هـ - ١٩٠٢ م :

رجع المؤلف في هذا الفصل الى قيام الدولة العثمانية واتساعها ، كما رجع الى اصول الصراع الدولي على الخليج منذ الكشف الجغرافية والى قيام دولة الكويت منذ القرن السابع عشر الى نشأة حركة الاخوان منذ دعوة محمد بن عبد الوهاب . ورغم أن المؤلف لم يستفرض في عرض كل هذه المقدمات التي اورد فيها معلومات معروفة ومنشورة ، فقد كان من المستحسن أن يركز مدخله على الأحداث المتصلة بصورة مباشرة بصلب موضوع البحث الذي يبدأ سياقه بعام ١٩٠٢ الذي استولى فيه عبد العزيز آل سعود على الحكم في الرياض في الوقت الذي كان فيه مبارك الصباح

(١) ميمونة خليفة الصباح : علاقات الكويت بنجد في الفترة ما بين ١٨٩٦ الى ١٩٢٩ م .

حاكما على الكويت وآل رشيد حكاما على حائل . وفي ثنانيا التنافس بين هذه القوى الثلاث كانت بريطانيا قد أحكمت سيطرتها على الخليج في حين أن الدولة العثمانية برغم ما ألم بها من ضعف ، كانت لا تزال تشكل قوة مؤثرة في شؤون الخليج وشبه الجزيرة العربية . على أن المؤلف لا يلبث أن يدخل في صلب موضوعه بادئا بالصراع بين مبارك الصباح وابن رشيد حاكم حائل الذي كان بدوره يحارب قبائل المنتفق التي تحالفت مع مبارك . ثم قرر « أسد الجزيرة » — وهو اللقب الذي أضفى على مبارك الصباح — أن يهاجم ابن رشيد في عقر داره مستعينا في ذلك بقبائل المنتفق والقبائل الأخرى المحيطة بالكويت وبآل سعود المنفيين في الكويت بعد أن طردهم ابن رشيد من الرياض . وفي موقعة الصريف ( ١٩٠١ ) واجه مبارك الهزيمة وانتهت أحلامه الخاصة بالسيطرة على المنطقة . ويحتمل أن ابن رشيد لم يتعقب خصمه المنذر بسبب معارضة الدولة العثمانية التي كانت تخشى الصدام مع بريطانيا التي كانت قد توصلت في عام ١٨٩٩ الى توقيع معاهدة حماية مع مبارك ، ورغم ذلك فلم يلبث ابن رشيد أن تقدم نحو الكويت التي بادر شيخها الى حشد قواته في الجهرة وطلب النجدة من حليفه سعدون المنصور زعيم المنتفق وأبلغ الأمر الى المقيم البريطاني في الخليج الذي أرسل ثلاث سفن حربية الى الكويت كان لها اثرها في ردع ابن رشيد وثنيه عن مهاجمة الكويت . ثم أصدرت السلطات العثمانية لمبارك أمرا بمبارحة الكويت ، وهنا تدخلت السلطات البريطانية للدفاع عن الكويت فساعدت في تحصين قلعة الجهرة وأرسلت خمس سفن للمرابطة أمام الكويت ، كما تدخل السفير البريطاني في استنبول للضغط على الدولة العثمانية لكي تطلب من ابن رشيد أن ينسحب الى بلاده ، وهو ما تم بالفعل . ورغم ذلك فان انتصار ابن رشيد قد أدى الى فرض هيمنته على المناطق المحيطة بالكويت التي تآثر اقتصادها الى حد كبير بسبب وقوع الطرق التي تصلها بالداخل تحت رحمة حاكم حائل ونجد .

### الفصل الثاني : مرحلة التحالف المطلق :

يستعرض المؤلف في هذا الفصل أسس العلاقة الشخصية بين مبارك وابن سعود خلال الفترة التي قضاها هذا الأخير في منفاه في الكويت . ويناقش ما يقال من أن الفترة التي قضاها ابن سعود في الكويت كانت بمثابة المدرسة التي تعلم فيها قواعد السياسة العملية ، خاصة وأن مبارك كان يعد عبد العزيز للمستقبل عليه يفيد منه في الوقت الذي عول فيه ابن سعود على الاستفادة من مساعدة مبارك له في المستقبل . ويرجح المؤلف أن مبارك هو الذي أغرى عبد العزيز آل سعود بانتزاع الرياض من ابن رشيد ( يناير ١٩٠٢ ) ، خاصة وأنه بادر بعد سقوط الرياض بإمداده بكمية من الذخائر والأطعمة ، كما كتب الى والي البصرة يبلغه بما حدث ويطلب منه حث الباب العالي على الاعتراف بالواقع الجديد ، خاصة وأن

ابن سعود أعلن ولاءه للدولة العثمانية التي لم تلب طلب ابن رشيد للمساعدة الحربية منها . وبالإضافة الى هذا فقد قدم مبارك لحليفه مساعدة حربية فعالة حين هاجمت قواته قبيلة الظفير التي كانت في طريقها الى الرياض بهدف مساعدة ابن رشيد الذي كان يهدف الى حصار الرياض ، كما هاجمت قبيلة شمر المتحالفة مع ابن رشيد . . بل لقد تشكلت قوة نجدية — كويتية مشتركة ضد ابن رشيد . ولكن بريطانيا نصحت مبارك بعدم الاقدام على مغامرات داخل شبه الجزيرة العربية وذلك حتى لا تتعرض الكويت ذاتها للتهديد سواء من ابن رشيد أو من الدولة العثمانية ، خاصة وأنها كانت لا ترحب بازدياد النفوذ العثماني في المنطقة ، ومن ثم مطالبتها الدولة العثمانية بعدم التدخل في هذه النزاعات . وفي سبتمبر ١٩٠٤ أوقع ابن سعود الهزيمة بالقوات العثمانية وقوات ابن رشيد ، مما أدى الى سعي الدولة العثمانية الى التفاوض مع ابن سعود وتوسيطها مبارك بهذا الصدد — ورغم أن مبارك كان يخشى أن يؤدي اعتراف ابن سعود بسيادة العثمانيين الى سيطرتهم الفعلية على نجد في النهاية ، الا أن اصرار الدولة العثمانية على التفاهم مع ابن سعود أدى الى تحرك مبارك حتى لا يتم الأمر من وراء ظهره ، خاصة وأنه كان يود أن يستعرض أهمية بالنسبة الى الانجليز والعثمانيين باعتباره حجر الزاوية بالنسبة الى شئون شبه الجزيرة العربية بوجه عام وشئون ابن سعود بوجه خاص . وأخيرا تم الاتفاق — بوساطة مبارك — على أن يعترف آل سعود بالوجود العثماني في القصيم التي شكلت عازلا بين أملاك آل سعود وأملاك آل رشيد ، كما تقرر أن تحول الدولة العثمانية دون تدخل ابن رشيد في شئون إمارة آل سعود .

### الفصل الثالث : مرحلة الاختلاف ضمن اطار التحالف :

لم تلبث العلاقات بين مبارك وابن سعود أن شهدت مرحلة تحول بعد أن تغلب ابن سعود على ابن رشيد . خاصة وأن مبارك قد توصل الى اتفاق مع حاكم حائل تعهد فيه حاكم الكويت بالوقوف على الحياد في الصراع الدائر بين ابن رشيد وحاكم نجد . الا أن مبارك رفض الوساطة لحسم النزاع بين ابن رشيد وابن سعود وذلك حرصا منه على انهك الطرفين بهدف التمهيد لسيطرته هو على الأراضي المجاورة . ورغم ذلك فقد أمكن لعبد العزيز آل سعود أن يدمر قوة ابن رشيد ويصرعه في ابريل ١٩٠٦ مما أدى الى زعزعة اوضاع حائل وبروز قوة نجد وتوثيق علاقة مبارك بحاكم حائل الجديد ووساطته دون طائل لانتهاء النزاع بين حائل والرياض . ثم عملت حائل — بمباركة من حاكم الكويت — على تشكيل حلف قبلي جديد لمجابهة ابن سعود . ورغم ذلك فقد اشترك مبارك مع ابن سعود في محاربة سعدون المنصور زعيم قبائل المنتفق الذي أحرز هو وحلفاؤه القبليون انتصارا على مبارك وابن سعود في موقعة هدية .

وفي عام ١٩١٣ انتهز عبد العزيز آل سعود فرصة المشاكل التي أحاطت بالاتحاديين - الحكام الجدد للدولة العثمانية - نتيجة لغزو الإيطاليين لليبيا (١٩١١) - مواجهة الدولة للحلف البلقاني الذي أعلن الحرب عليها (١٩١٢) - وأحرز انتصارات مدوية ، فاستولى على الأحساء . وحين يستعرض المؤلف هذا التطور الجديد يناقش موقف مبارك منه من حيث ترحيبه به أو عدمه . ثم ينتقل الى احتمال انضمام الدولة العثمانية الى المانيا في الحرب العالمية التي اندلعت في صيف عام ١٩١٤ ومحاولة بريطانيا استغلال علاقتها بمبارك للتأثير في ابن سعود الذي أثر في البداية الوقوف على الحياد برغم أن بريطانيا قد تعهدت بحمايته من انتقام العثمانيين ومن الهجوم على اراضيه عن طريق البحر وبلاعتراف بسلطته في نجد والأحساء ، كما أبدت استعدادها لعقد معاهدة معه خاصة وأنه كان منذ عام ١٩٠٦ قد أبدى استعداداه للتوصل الى اتفاقية مع بريطانيا على نط اتفاقياتها مع امارات الساحل المهادن (١) ، وان تكن بريطانيا قبل نشوب الحرب العظمى كانت حريصة على عدم التورط في شئون داخل شبه الجزيرة وعلى عدم اغصاب الدولة العثمانية حتى لا تدخل الحرب - اذا ما نشبت - في صف المانيا . أما بعد دخول تركيا الحرب الى جانب المانيا فقد أبدى عبد العزيز آل سعود تحفظا برغم مناشدة مبارك له الوقوف الى جانب بريطانيا ، ثم عدل على محاربة آل رشيد وانتصر على حائل في معركة جراب . وقد أدى فشل مبارك في زحزة ابن سعود عن موقفه من الحرب الى درجة من التوتر في العلاقات بين الرجلين خاصة وأن عبد العزيز قام في أواخر عام ١٩١٥ بمهاجمة قبيلة العجمان الذين خذلوه أثناء معركة جراب ثم وثقوا علاقاتهم بابن رشيد وتلقوا رشاوى من العثمانيين وأيدوا المتمردين على ابن سعود ، في حين أقام مبارك اتصالات مع العجمان . وقد شكى عبد العزيز الى السلطات البريطانية من موقف مبارك فكتب الى الوكيل السياسي البريطاني في البحرين يخبره بأن العجمان لجئوا الى مبارك بعد أن حلت بهم الهزيمة وطلبوا منه أن يشفع لهم لديه . على أن الخلاف بين مبارك وعبد العزيز لم يتطور - اذ توفى مبارك في أواخر نوفمبر ١٩١٥ .

## الفصل الرابع : العلاقات تتأرجح بين الانفراج والتأزم :

### ١ - في عهد جابر :

في ديسمبر ١٩١٥ عقدت بين ابن سعود وبريطانيا معاهدة دارين التي نصت المادة السادسة منها على أن يتعهد ابن سعود بالامتناع عن كل تجاوز وتدخل في

(١) راجع الدراسة الموثقة التالية :

Gary Tvoeller, The Birth of Saudi Arabia: Britain and the Rise of Sa'ud. Frank Cass, London, 1976, pp.24-25.

أراضي الكويت والبحرين وأراضي مشايخ قطر وعمان وسواحلها وكل المشايخ المستظلين بحماية بريطانية والذين لهم معاهدات معها . ومما ساعد على التوصل الى المعاهدة السعودية - البريطانية ان ابن سعود كان يخشى تعرضه لهجوم تركي من ناحية البحر وذلك انتقاما من قيامه بطرد الحاميات العثمانية من الأحساء . وفي نوفمبر ١٩١٦ زار ابن سعود الكويت تلبية لدعوة السلطات البريطانية لبعض زعماء المنطقة ، وذلك رغبة منها في التأثير في مواقفهم بما يدعم مجهودها الحربي . وفي خلال الاجتماع مع كوكس أعلن ابن سعود وجابر وخزعل حاكم المحمرة انهم سيزيدون جهودهم للتعاون مع بريطانيا .

واهم مشكلة واجهت الشيخ جابر هي مشكلة المسابلة . فقد كانت القبائل تتمون من الكويت ثم تفلت من جمارك ابن سعود الذي طالب حاكم الكويت بتحصيل الرسوم من هذه القبائل ثم تسليمها اليه . ويحتمل ان السبب في موقف ابن سعود هذا هو رغبته في كف جابر عن الاتصال بابن رشيد بعد ان أشيع ان الطرفين يتفاوضان سرا لتحقيق الوئام بينهما . وعلى أي حال فقد رفض جابر تلبية طلب ابن سعود .

## ٢ - في عهد سالم :

لم يطل عهد جابر بن مبارك الذي عاجلته المنية فخلفه في الحكم أخوه سالم الذي كان متطرفا في تدينه ولم يتصف بالمرونة مما أذن بتوتر العلاقات بينه وبين حاكم نجد حتى وصل الى مرحلة الصدام بسبب قبيلتي العجمان والعوازم . فقبيلة العجمان القاطنة حينئذ في العراق كانت تشن الغارات على قبائل ابن سعود بعد عبورها الكويت بالتواطؤ مع سالم ومع قبيلة العوازم الكويتية ، مما جعل ابن سعود يجبي الزكاة من قبيلة العوازم معتبرا اياها خاضعة لسلطانه ويحاول اغراءها على الاستقرار في اراضيه . واعتبر سالم ذلك اعتداء عليه من جانب ابن سعود ورد على ذلك بالتحالف مع العجمان الذين انتقلوا الى الكويت للاقامة فيها تحت رعايته . وحين توسطت بريطانيا لازالة التوتر اشترط ابن سعود اخراج العجمان من الكويت في مقابل ارجاع العوازم للكويت . وامكن تحقيق هذا الشرط ولو ان الاتفاقية لم تنه حقد العجمان على ابن سعود ومن ثم تعمدهم مهاجمة اراضيه عبر الكويت مما أذن بعودة التوتر بين نجد والكويت . وازاء تهاون سالم في صد العجمان تدخلت بريطانيا واشترطت موافقة مشايخ العجمان على التمهيد كتابة بالكف عن الغزو عبر أراضي الكويت في مقابل تسليمهم للاعانات المالية البريطانية والسماح لهم بالتمون ، على ان يقدموا بالاضافة الى هذا التمهيد احد الاشخاص ليظل رهينة لدى السلطات البريطانية ضمانا لتنفيذه . وطبق نفس الاجراء بالنسبة الى قبيلة الاسلم ، وتقرر ان يعتبر عدوا لكل من

الحكومة البريطانية وان سعود اي فخذ من هاتين القبيلتين لا يقدم التعهد المطلوب ويحق لابن سعود أن يتخذ ضده الاجراء الذي يراه مناسباً . كما جرى الاتفاق مع شيخ الكويت على اتخاذ اجراءات اضافية لمنع اي احتمال للغزو . ورغم ذلك فقد ظل العجمان يشكلون أداة للتوتر في علاقات نجد بالكويت الى ان تمكن ابن سعود في عام ١٩١٩ من اجبارهم على الخضوع له ومن ثم عودتهم الى نجد .

وقد تزامن هذا التنافس على اكتساب ولاء القبائل مع الحصار الاقتصادي الذي فرضته السلطات البريطانية حول الكويت . فقد كانت السلطات البريطانية حريصة على اغلاق الكويت في وجه القبائل المشكوك في ولائها لبريطانيا خشية وصول المؤن الى العدو . وقد تجاوب جابر مع طلب بريطانيا ، الا أن تولية سالم اقترنت بتكرار حوادث التهريب مما أدى الى ازدياد شكوك بريطانيا التي قررت ارسال المقيم في الخليج ( اواخر ١٩١٧ ) ليلفغه بأن السلطات البريطانية قررت أن تتولى بصورة مباشرة وعن طريق ضباط بريطانيين مهمة مراقبة السلع والبضائع التي تخرج من الكويت . وقد رفض سالم تلبية هذا الطلب في البداية ، الا انه ما لبث ان وافق عليه تحت ضغط التهديدات البريطانية ، هذا برغم اعتقاده أن الموقف البريطاني ناتج عن اقناع ابن سعود للسلطات البريطانية بأن الكويت هي مصدر التهريب . ورغم رفع الحصار عن الكويت بعد ان وضعت الحرب العالمية أوزارها الا أن آثاره على علاقات نجد بالكويت ظلت باقية ، فقد استمر التوتر بين الطرفين مما مهد للخلاف على الحدود .

### الخلاف على الحدود

ازدادت قوة الاخوان — أتباع مذهب محمد بن عبد الوهاب — بحيث تطلعوا لنشر اتجاهاتهم الدينية في المناطق المجاورة ، وبالتالي لم تسلم الكويت من خطرهم بسبب عدم رضاهم عن سياسة حاكمها ومسلكه تجاههم . وقد بدأ النزاع على الحدود حين قرر سالم في سبتمبر ١٩١٩ أن يعمر بلبول التي اعتبرها هو وابن سعود داخلة ضمن اراضيه . وحين تدخلت بريطانيا لحل النزاع أذعن سالم لارادتها وكف عن تصميمه على تنفيذ المشروع . وفي ابريل ١٩٢٠ تكرر الخلاف حول « قرية » التي تقدم اليها فخذ من قبيلة مطير للاستيطان فيها وتحويلها الى « هجرة » . وحين بادر سالم لمعركة هذا التحرك بدأت مطير تغير على اطراف الكويت وتضايق القوافل التجارية الخارجة منها ، فأرسل سالم قوة الى المنطقة المتنازع عليها لقيت الهزيمة في « حمض » على ايدي الاخوان الذين كان يقودهم فيصل الدويش . وازاء خشية اهل الكويت أن يتعرضوا للخطر بعد موقعة حمض فانهم تعاونوا جميعا في بناء سور حول مدينتهم . وعلى حين تصدت بريطانيا لحل مشكلة الحدود حاول سالم أن يجتذب الى صفه قبائل شمر والعجمان وقسما من

قبيلة مطير ، كما حاول تشكيل جبهة سياسية عامة معادية لابن سعود تضم الملك حسين حاكم الحجاز وابن رشيد والشيخ خزعل والسيد طالب النقيب أحد زعماء البصرة وشيخ الزبير ( شيخ الظفير ) .

### **الفصل الخامس : الطريق الى الوفاق وحل المشاكل :**

ادى الخلاف على « قرية » الى مواجهة مسلحة بين الكويت ونجد — فقد هاجم الاخوان الجهرة ( ١٠ أكتوبر ١٩٢٠ ) واوقعوا الهزيمة بقوات الكويت . ولبت بريطانيا طلب سالم للمساعدة فأرسلت سفينتين وطائرتين ونصبت بعض المدافع الرشاشة على سطوح بعض بيوت المدينة كما رتبت بعض جنود البحرية لحراسة طرفي السور المحيط بها ورغم ذلك فانها طلبت من سالم الا يقوم بعمل من شأنه ان يؤدي الى زيادة التوتر ، كما طلبت من عبد العزيز ان يأمر الاخوان بالانسحاب على الفور . وبينما المحادثات تدور لحسم النزاع اذ توفي سالم في اواخر فبراير ١٩٢١ مما ادى الى تغيير الوضع بشكل جذري — اذ كانت العلاقات طيبة في السابق بين عبد العزيز وأحمد الجابر حاكم الكويت الجديد ، هذا في الوقت الذي كان فيه ابن سعود حريصا على توثيق علاقته بالكويت خاصة وأنه كان يعد العدة لمعركته النهائية مع حائل . وهكذا تمهد السبيل لتسوية مشكلة الحدود ، وان يكن ابن سعود قد كرر مطالبه السابقة المتصلة بالمسألة . وفي ٢ ديسمبر تم — بواسطة سيربرس كوكس — توقيع اتفاقية الحدود بين نجد والكويت التي لم يرض بها احمد الجابر ولو أنها حسمت النزاع واكتسبت صفة الدولية .

### **تعريف باهم النتائج التي توصلت اليها الرسالة :**

وبعد ان انتهى المؤلف من استعراض موضوعه عهد الى تلخيص عرضه وان كان من الأفضل لدراسته ان يقوم في هذا الحيز بالتركيز على المعلومات — او التفسيرات — الجديدة الواردة في اطروحاته بدلا من طرح هذا الملخص الذي كان من المستحسن ان يورده في مقدمة الدراسة .

**ملحوظاتنا على الدراسة :** لا شك ان الباحث بذل جهدا طيبا في اعداد هذه الدراسة وفي طرح موضوعه ومناقشة بعض نقاطه مناقشة علمية موضوعية مستعينا في ذلك الى حد كبير بالوثائق البريطانية المنشورة وغير المنشورة وبكتابات المعاصرين للأحداث على ان لنا بعض الملاحظات التي لا تقلل من أهمية هذه الدراسة التي تعتبر باكورة جهد المؤلف في حقل الدراسات التاريخية . وأول هذه الملاحظات تتعلق بالمصادر : ففي قائمة المراجع العربية التي افاد منها نجد يورد مؤلفات لا تمت الى موضوعه بصلة من قريب أو بعيد ومن ذلك — على سبيل المثال لا الحصر — دراسة الدكتور سليمان بن محمد الغنام وعنوانها « قراءة جديدة

لسياسة محمد علي باشا التوسعية في الجزيرة العربية والسودان واليونان وسوريا » وكتاب عبد الرحمن الرافعي عن « تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر » ( ٢٥ ) وكتاب الدكتور محمد عبد اللطيف البجراوي عن « فتح العثمانيين عدن وانتقال التوازن الدولي من البر الى البحر » - وغير ذلك . وتحت عنوان « البحوث والدوريات والصحف » نجده يورد مصادره هذه دون الاشارة الى اسم مؤلف المقال أو البحث أو الى عنوانه .

أما الملاحظة الأخرى فهي خاصة ببعض الأخطاء الواردة في السياق وبعضها مطبعي دون شك . إلا أن بعضها الآخر غير مطبعي ومن ذلك :

( ص ١٣٦ ) ENTENTE      يترجم المؤلف هذا المصطلح على أنه حلف وصحته « وفاق » .

( ص ١٦٣ ) Lord Harding      وصحتها Hardinge

( ص ٢٨٢ ) Major Morr      وصحتها More

ورغم كل ذلك فإن مثل هذه الهنات لا تقلل من أهمية هذه الدراسة الصادرة عن جامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية ، وهي الجامعة التي انضمت الى شقيقاتها السعوديات والعربية في اثناء الدراسات التاريخية ذات الطابع العلمي والموضوعي .